مكانة المرأة في المغرب القديم

The status of women in ancient Morocco

د. صبيحة أوكيل [1] ، د. بلخير بقة [2]
[1] جامعة الأغواط (الجزائر)، kidarsam@hotmail.com
[2] جامعة تيارت (الجزائر)، faridb12@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2019/06/14 تاريخ القبول: 2019/06/27 تاريخ النشر: 2020/02/27

ملخص:

ساهمت المرأة في العالم القديم مساهمة كبيرة في بناء الحضارات، حيث عملت على صعيدين؛ الاول الحياة الخاصة بالمنزل والثاني المشاركة في الامور الدينية والسياسية، أي خدمة المجتمع، فمن خلال الشواهد الاثرية وبعض الإشارات التي وردت في كتابات المؤرخين القدامى تجلت صورة المرأة واسهاماتها في المغرب القديم، على الرغم من أن الكتابات الكلاسيكية لم تعطها حقها من الوصف وجاء فيها الكثير من الخرافات، غير أن النقوش ورسومات الفسيفساء قد ظهرت فيها المرأة بصورة مغايرة لما جاء في تلك المصادر، وإن كانت مكانة المرأة تظهر من الدور الذي كانت تقوم به فالأساس كان ينطلق من الأسرة الخلية الأولى في المجتمع، فقد كانت أما ومربية وكاهنة وإلهة، كما كان لها مكانة سياسية فقد أدت مهام سياسية كالقيادة والحكم والمشاركة في الحروب، ومن خلال هذه المداخلة سأحاول إظهار مكانة المرأة في المغرب القديم بمختلف مراحله والتغيرات التي طرأت فيه.

كلمات مفتاحية: مرأة، نوميديا، ملكة، كاهنة، إلهة.

Abstract:

Women in the ancient world contributed greatly to the building of civilizations. They worked on two levels: the first is the life of the home and the second is the participation in religious and political matters, i.e. the service of society. Through archaeological evidence and some references in the writings of ancient historians, Although the classical writings did not give them the right of description and came in a lot of myths, but the inscriptions and drawings of the mosaic has appeared in a different way of women in those sources, although the status of women appear from the role they were doing, The family was the first cell in society. It was a mother, an educator, a priestess and a goddess. It also had a political position. It led to

المؤلف المرسل: صبيحة أوكيل، الإيميل: kidarsam@hotmail.com

political tasks such as leadership, governance and participation in wars. Through this intervention, I will try to show the status of women in the various stages of Morocco and the changes that took place there.
Keywords: Woman, Numidia, Queen, Priest.

مقدمة:

لا تلقى الحياة الاجتماعية في التاريخ القديم ما تلقاه الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية من الأهمية، ولا يزال نطاق الاسرة في المجتمع المغاربي القديم في الكثير من جنباته غامضا كونه كان تاريخا هامشيا وليس رسميا في المصادر الكلاسيكية،والمرأة مثلا من بين المواضيع التي غيبت في التاريخ القديم، فيم عدا بعض الإشارات المقتضبة، ربما بحكم كون المجتمع المغاربي منذ أقدم العصور عرف عنه بأنه ذكوري وسلطة المرأة تأت في المرتبة الثانية بعد الرجل، ولكن ما سكتت عنه النصوص الكلاسيكية أظهرته النقوش والتماثيل ورسوم الفسيفساء التي استشف منها المؤرخون الكثير من المعلومات عن المرأة والحياة الأسرية ومكانتها في المجتمع المغاربي القديم، ولذلك يمكن طرح الاشكالية التالية كيف كانت مكانة المرأة في المغرب القديم؟

تشير محتويات العديد من النقوش الجنائزية ببلاد المغرب القديم لشهادات أشادت بالمرأة داخل الأسرة وخارجها، وذلك من خلال عبارات المجاملة والفضائل والاخلاق المثالية والامتنان للدور الذي كانت تقوم به في المجتمع المغاربي القديم، ما منحها مكانة ترجمتها هذه النقوش التي تتباهى بمناقبها، لأنها كانت مفتاح السعادة والنجاح لعائلتها وزوجها على وجه الخصوص، فقد حوَت العديد من سجلات النقوش اللاتينية الخاصة ببلاد المغرب القديم شهادات لأزواج عن إخلاص ووفاء زوجاتهن وتفانيهن في خدمة الاسرة والمجتمع (المومن، 2016، الصفحات 299-300)، إن دلّ ذلك على شيء فإنه يدل على المكانة التي كانت تحظى بها المرأة في قلب زوجها وبين عائلتها، وسأحاول إبراز تلك المكانة فيما يأتي في كل جانب على حدا:

1.مكانة المرأة السياسية:

كانت المرأة في المغرب القديم جزء من افراد المجتمع كان لها دور سياسي فقد كانت تتقلد مناصب قيادية ومنحت لها السلطة، فقد كانت ملكة وسفيرة للعلاقات الديبلوماسية بين الممالك، كما كان لها دور في الحياة العسكرية، وذلك يدل على المكانة التي وصلت إليها المرأة في فترات مختلفة.

أ. المرأة الملكة:

كان للمرأة في المغرب القديم مكانة سياسية،فقد كانت من النساء الملكات وتظهر في قرطاجة الملكة عليسة التي ورد في اسطورة تأسيس قرطاجة أنها كانت ملكة فينيقية سميت

كذلك إليستا أو إليشا (دوكريه، 1994، صفحة 42)أو ديدونيا كما اطلق عليها استرابون (Strabon, p. XV)، جاءت إلى شمال افريقيا وأسست مدينة قرطاجة في تونس الحالية في القرن التاسع قبل الميلاد، وسميت "قرط حدشت" بمعنى المدينة الجديدة، وظلت عليسا ملكة على قومها إلى غاية انتحارها بعد أن رفضت الزواج من الملك المحلي هيرباص ورمت بنفسها في النار، (الهادي، 2014، صفحة 38، 39)، وتعتبر هذه الملكة من أشهر النساء وأكثرهن تقديرا في المجتمع القرطاجي حتى أنها ألهت بعد وفاتها (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 203).

كما كانت والدة ماسينيسا من النساء النوميديات القويات اللواتي شاركن الرجال في الحكم والسياسة، ولكن عن طريق استقراء الغيبيات بواسطة العرافة، ويروى أن ابنها كان يستشيرها ويأخذ بنصائحها في بعض أمور المملكة، إلا أن النصوص القديمة لا يشير أيا منها إلى اسمها أو صفاتها (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 244).

كما نجد من بين الملكات التي ذكرهم تاريخ المغرب القديم زوجة "يوبا الثاني" ملك موريطانيا (25ق.م- 23م) "كليوباترا سليني" أو "كليوباترا القمر" ابنة "كليوباترا السابعة" أخر ملكات مصر وزوجة "أنطونيوس"، ونظرا للمكانة الرفيعة التي نالتها هذه الملكة فقد بنا لها زوجها ضريحا مستديرا ضخما يشمخ على اراضي شرشال حاليا سمي بقبر الرومية، دفنت فيه الى جانب زوجها (بوشناقي، 1979، صفحة 17).

كما نجد في فترة متأخرة الملكة الترقية "تين هينان" (ناصبة الخيام) التي حكمت في القرن الخامس ميلادي، وقد قدمت من منطقة تافيلالت على ناقتها البيضاء متجهة إلى منطقة الأهقار،وقد كانت تتمتع بالشجاعة والمشاعر النبيلة وبدهاء وحنكة كبيرين، كما كانت تتمتع بقدر كبير من الجمال استطاعت توحيد الصحراء الافريقية الكبرى أو منطقة الساحل أي جنوب الجزائر ليبيا وموريطانيا والنيجر والمالي وتشاد، كما ادخلت الى مجتمعها تقاليد جديدة خاصة بسياسة التخزين والتوفير لوقت الشدة لمحاربة الغزاة أو سنون القحط، تم العثور على هيكلها العظمي في ضريح الابالسة مع حليها الذهبية والفضية والحديدية وكامل أثاثها الجنائزي، كانت "تنهينان" تتمتع بمكانة خاصة عند أهل الطوارق ظلت تعتبر ملكة شرعية وام وجدة لـ12 قبيلة من نبلاء الطوارق الحاليون (صفريون، 2010، الصفحات 216- 218).

ب. المرأة الديبلوماسية:

كان للمرأة في المغرب القديم مكانة سياسية كبيرة فقد اعتبرت ديبلوماسية ربطت علاقات سياسية بين المنطقة وجيرانها مثلا: نجد في المستوطنة الاغريقية قورينة التي تأسست في 631 ق.م على اراضي ليبيا حاليا، أثار عدة تماثيل لنساء شهيرات مثل "لاديكي" احدى بنات الملك باتوس

الثاني ثالث ملوك قورينة، والتي تزوجت من فرعون مصر آنذاك بهدف التقارب السياسي بين الدولتين، و"فارتيمي" والدة الملك اركسيلاوس الثالث التي كان لها دورا في المؤامرات والدسائس والقتل، فقد فوّض أمه لتسيير قورينة فكانت تترأس مجلس الشورى نيابة عنه، وبذلك كانت للمرأة امتيازات سياسية هامة (شامو، 1990، صفحة 195).

فمثلا نجد "ماجاس" ملك قورينة الذي حاول ان يتبنى زواجا سياسياً بتقديمه ابنته "برنتشي" كزوجة لوريث العرش البطلمي الذي سيصبح فيما بعد بطليموس الثالث، إلا أن وفاته عام 258ق.م، حال دون ذلك ولكن ارملته "اباما" اعتمدت سياسة مناوئة للبطالمة فاختارت الامير ديمتريوس الجميل احد امراء البيت المالك في مقدونيا، زوجا لابنتها "برنتشي" لكي تبقى بعيدة ومستقلة عن برقة(شامو، 1990، صفحة 196).

كما ذكرت المصادر ملكة قرطاجية سميت "صفنبعل" أي "رعية الإله بعل"، وعرفت كذلك "بصفنيبة" وهي من أصل ارستقراطي فوالدها هو "عزربعل بن جرسكن"، يرجّح أنها ولدت حوالي 221 ق.م وقد عرف عنها جمالها وادبها وشدة تدينها، وردت أخبار متفرقة عنها خلال ذكر مرحلة ضعف الدولة القرطاجية وعلاقتها بالدولة النوميدية، وقد حصلت على لقب زوجة الملك، بزواجها من صفاقس ملك نوميديا الغربية الذي اصبح حليفا قويا لقرطاجة في 205ق.م، وبذلك مارست صفينبةمهام دبلوماسية ونظرا لمكانتها ساهمت في ربط العلاقات بين قرطاجة ونوميديا الغربية، خاصة وان هذه الأخيرة قبل ذلك كانت حليفة لغريمة قرطاجة روما، وقد كانت صفينبةوفية لزوجها صفاقس بعد أن انتصر عليه ماسينيسا، فحافظت على مكانتها وانتحرت بعد إلقاء القبض على زجها من طرف روما لكي لا تقع هي الاخرى اسيرة لروما (عيساوي، 2009-2010، الصفحات 206-207).

كما نجد كذلك أسماء أخرى لنساء ربطت علاقات ديبلوماسية بين أطراف متنازعة كما حدث مع يوغرطة الملك النوميدي الذي قاوم روما في المغرب فزوج إحدى بناته من بوخوس والذي يعتبرزواج سياسي يربط العلاقات النوميدية الممثلة في شخص يوغرطةوالموريطانية الممثلة ببوخوس الأول ملك موريطانيا، وعقد معه تحالف دفاعي استطاع بفضله الاستمرار في مقاومته لفترة أطول، ولم يتم القضاء عليه إلا بالوشاية التي تعرض لها من حليفه بوخوس الاول (Salluste, pp. LXXX-VI).

ج. المرأة في الجيش:

استمدت المرأة مكانتها أيضا من قوتها وصلابتها خاصة وأنها كانت لها مهام عسكرية وذلك بشهادة المصادر الكلاسيكية، مثلا يذكر ديودور الصقلي أنالمرأة كانت تقوم بمهام قيادية وسياسية

وعسكرية، حيث ينقل لنا قصة النساء المحاربات (الأمازونياتAmazones) في أقصى غرب ليبيا (شمال افريقيا) فهن كن يحاربن ومع نهاية المهام العسكرية يتزوجن لانجاب الأطفال (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 203)، كما تصور نقوش "سحورع" ونقوش "معبد حابو" بمصر المرأة الليبية تساعد الرجل خلال الحرب لإسعاف الجرحى، وتظهرها عندما تتقلد منصبا قياديا وقد ارتدت زي الرجال (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 119).

كما أن النساء في قرطاجة كن قد شاركن في حروب قرطاجة، وقد ضحت بنفائسها في سبيل فداء الوطن (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 203)، ويذكر استرابون أن النساء في قرطاجة قطعن شعرهن ليستعمل في صنع الحبال للسفن غداة الحرب البونيقية الثالثة (Strabon، صفحة XV).

ومن بين النساء الشهيرات التي كان لهن دور عسكري في المغرب القديم نجد: "سيريا" (Cyria) أخت المقاوم "فيرموس" التي عاشت في القرن الرابع ميلادي، وقد شاركت أخاها في مقاومته للرومان، ووالدة "يغمراسن" التي ذهبت بنفسها لميدان المعركة لحضور الامضاء على اتفاقية (العربي، 2008، الصفحات 173-174).

كما برزت المرأة في الفترة البيزنطية كمحاربة تشارك في قرع طبول الحرب وإثارة حماسة الجند أو في أعقاب الأمير، بل برزت ايضا كمشاركة في المعارك (عيبش، 2006/ 2007، صفحة 248)، وذلك يؤكده ما جاء على لسان بروكوبيوس أن المرأة المورية كانت تشارك في الحروب في حفر الخنادق ونصب الخيام للجند، والاعتناء بالخيل والابل(العربي، 2008، الصفحات 173-174).

كل ذلك يؤكد المكانة التي وصلت إليها المرأة ففي الوقت الذي اعتبرها البعض اقل شأنا فإن الدور الذي قامت به ووصولها إلى الحكم كملكة أو سفيرة علاقات دبلوماسية او حتى قيادية في الجيش يؤكد أن لها مكانة مميزة وإن تلت الرجل في ذلك.

2.مكانة المرأة الاجتماعية:

تظهر مكانة المرأة في المجتمع مبدئيا داخل الأسرة، فهذه الأخيرة تمثل النواة الاولى للمجتمع ومن ثم أساسه، ومن ثم ندرج ان مكانة المرأة في المجتمع تجسّدت في المعتقد كإلهة من جهة وخادمة للآلهة ككاهنة من جهة أخرى، وذلك ما سأبينه فيما سيأتي:

أ.المرأة في الأسرة:

لا شك أن الزواج هو أساس تكوين الاسرة عند الليبيين القدماء، فهيرودوت تعرض في كثير من المرات للزيجات التي كان يحتفل بها علانية (أكصيل، 2007، صفحة 36)، والزواج وتكوين

اسرة كان يتم بالاتفاق بين عائلة الزوجين في سن مبكرة بالنسبة للأنثى، ويشترط فيها العذرية التي هي عنوان المحافظة ونقاوة النسب، وتنتقل فيه المرأة لبيت الزوج ويلزمها العرف بالخضوع والوفاء.

والمرأة في الأسرة الليبية كان لها مكانة مرموقة تأتي بعد الرجل كون الاسرة كانت أبوية (العربي، 2008، الصفحات 171-173)، فالسلطة الغالبة كانت سلطة الاب الناتجة عن تفوق الذكورية، إلا أن هذا لم يمنع أن تكون الاسرة اموسية كما هو الحال عند الأوسيين (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 170)، كذلك في قورينة كان للمرأة مكانة مرموقة، وكانت تتمتع بامتيازات ناجمة عن نظام الارث القائم على اساس التسلسل من نسل الام. (البرغوثي، صفحة 87)

ولكن الاسرة النوميدية كانت ابوية ولا خلاف في ذلك، والدليل على ذلك أنه لم يعثر في النقوش البونية واللوبية الإهدائية والجنائزية التي يحفر عليها عادة اسم المتوفي واسم ابيه وجده واحيانا القبيلة التي ينتمي لها (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 272).

كما عرف على الرجال تعدد الزوجات وذلك وفق المصادر الاغريقية التي تؤكد أن تعدد الزوجات كان موجودا في المغرب القديم (أكصيل، 2007، صفحة 45)، فملوك القبائل كانوا يقتنون أكبر عدد ممكن من الزوجات، فالرجال النسمونيين مثلا كان لهم أكثر من زوجة (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 170)، ولكن لا تعني ظاهرة تعدد الزوجات انحطاط مكانة المرأة في المغرب القديم على العكس فالنصوص المصرية تصورها امرأة جميلة تلبس الحلي النفيسة وهذا دليل على رفعة مكانتها بين أفراد قبيلتها (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 119)، ولم يكن للمرأة العيش ارملة أو مطلقة فقد كان يعقب وفاة الزوج او الطلاق زواج جديد (أكصيل، 2007، صفحة 43)، كذلك يقول استرابون أن الرجال في قرطاجة كانوا يتزوجون بكثير من الزوجات وينجبون كثيرا من الاولاد. (Strabon، صفحة XIX)

كذلك كان للمرأة الليبية مكانة رفيعة في المجتمع القبلي الليبي حيث كانت زوجة وأم وقد كانت تعنى بأطفالها عناية بالغة (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 119)، كما كانت المرأة النوميدية تقوم بإعداد الطعام وحلب المواشي وغزل الصوف لنسج الملابس، وتربية الأطفال والعناية بهم (البرغوثي، صفحة 87)،بالإضافة إلى اعمال الزراعة وبعض الحرف اليدوية المتعبة. (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 277)

كذلك كانت المرأة في قرطاجة حرة غير مستعبدة قانونا ولا شرعا، وهي غير محتقرة لا عرفا ولا تقليدا، كما كانت محترمة ولها مكان مرموق في المجتمع والعائلة؛ فقد اسندت لها مهام

ووظائف دينية وتجارية بالإضافة إلى المهام المنزلية مثل تربية الاطفال ورعايتهم، والقيام ببعض الحرف المنزلية كالحياكة (الله، 1992، صفحة 147).

أما في الفترة الرومانية في العصر الإمبراطوري الأول (27 ق.م- 284 م)، فقدكان للمرأة حق الميراث،حيث كانت تحتفظ بإرثها بعد زواجها، لأنها كانت تحافظ على اسم عائلتها ولم تكن تابعة لسلطة الزوج.

كانت المرأة في العصر الروماني نوعين النوع الاول يصلح ليكون زوجة وام، ونوع ثاني لا يصلح ليكون كذلك، وقد كان النوع الأول يتم تسريحه بالطلاق إذا لم يتم إنجاب، وكأن الغاية من الزواج كانت فقط إنجاب الأطفال، وقد استمرت هذه الوضعية حتى في العصر الامبراطوري الثاني (284- 476 م) على الرغم من انتشار الدين المسيحي، ويؤكد على ذلك ماحدث مع القديس "أوغسطين" الذي رفضت أمه ان يتزوج من خليلته على الرغم من وجود طفل نتيجة تلك العلاقة بحجة أنها لا تصلح لتكون زوجة وقام بخطبة فتاة كانت تراها مناسبة لذلك، وكثير من النساء كن يمتن وقت الانجاب مثل السيدة "روبريا فوستا" (RubriaFesta) من شرشال ماتت وهي تضع مولودها العاشر وعمرها 36 سنة، والسيدة "سارجيا عمارا" (SergiaAmara) صاحبة 37 سنة التي توفيت تاركة سبعة اولاد وبنت، والسيدة "سولبيكيا فيكتوريا" (SulpiciaVictoria) من سور الغزلان توفيت وهي ام لعشرة أبناء (مقدم، 2010، الصفحات 252-253).

وفي الفترة البيزنطية كانت المرأة مقيدة أكثر بالمقارنة مع العصر الروماني، فقد كانت تعتبر مخلوقة للبيت وحده، واقتصرت أعمالها على إدارة شؤون المنزل، ولم يبح القانون البيزنطي لها حق أداء الشهادة، ولا حق تنفيذ الوصية، وفي حالة وفاة الزوج تأخذ كامل صداقها وتصبح الوصية الشرعية على اولادها ما دامت لم تتزوج ثانية (احمد، 2010، الصفحات 237- 238)، وذلك يؤكده "بروكبيوس" في وصفه للمرأة في الفترة البيزنطية ومكانتها في الأسرة، أنها كانت أما وتقوم بحلب الحيوانات وطحن الحبوب وطهي الخبز (عيبش، 2006/ 2007، صفحة 248).

وقد أدت الفلسفة الدينية المسيحية إلى استبداد الأزواج بزوجاتهم؛ حيث أوضحت أن الرذيلة كامنة في طبيعة المرأة لأنها ارتكبت الخطيئة الاولى، وينصح المرء بأن لا يغضّ الطرف عن المرأة والكنة والبنات المراهقات لأنهن مصدر العار (احمد، 2010، صفحة 239).

ب.المرأة في المعتقد:

المرأة إلهة:

أهم ما يميز المعتقدات الوثنية في المغرب القديم هي أنها كانت انعكاسا لنظرة الناس للكون والحياة بمختلف مكوناتها المادية والمعنوية (شنيتي، 2012، صفحة 308)، لذلك كان اهتمام

الليبيين بالآلهة الانثى راجع الى طبيعة المجتمعات القبلية التي كانت تولي أولوية خاصة للمرأة التي ترى فيها رمزا للقوة الكامنة في ظاهرة الاخصاب والتوالد (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 227) فالربات في المغرب كانت تتسم بصفات تنطبق وخصوصيات المرأة بشكل عام كالخصوبة والولادة...، وقد عرفت عبادة الربات في المغرب انتشارا واسعاً، غير أن المصادر الكلاسيكية غيبت غيابا كلي للربات المحلية، لمحاولة الرومان طمس الهوية المحلية في إطار السياسة التوفيقية بين آلهتهم وآلهة الأقاليم الخاضعة لهم (الفايدة، 1998، الصفحات 61-62).

كان للربات حضور في التصور الديني للإنسان القديم سواء كان محلي او أجنبي، ذلك انه قدّس عددا من الربات، وقدم لها هدايا متنوعة وقام بتمثيلها على اشكال مختلفة من الآثار المادية كالفسيفساء والتماثيل والنقود وغيرها، مثل الإلهة "تانيت" التي كانت تعبد في المغرب منذ اواسط القرن الخامس قبل الميلاد، وشاعت عبادتها كثيراً وقد ظلت سيدة المدينة الأولى، رمزها مثلث ودائرة يقطعهما خط (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 225)، وقد تقاسمت عرشها مع إله افريقي هو آمون، وهي تطابق صلاحيات هيرا عند الاغريق، وهي رمز الخصب والسلام والرخاء (العربي، 2008، الصفحات 215- 216).

يقول هيردوت في حديثه عن الليبيين بجوار بحيرة تريتون أنهم قدموا قرابين للإلهة أثينا(Hérodote, 1936, p. CLXXXVIII)، ومن صفاتها ومن أسماءها الفتاة (Pais) الزوجة (Teleia) الأرمل (Cherar) الأم (Meter) وهي الفاظ تذكر بأصلها الأمومي (الماجدي، 2004، صفحة 305)، وهي صفات تنطبق على المرأة.

ومن بين الآلهة التي حظيت بمكانة هامة سواء في روما أو في المستعمرات التابعة لها مثل المغرب القديم لاسيما في موريطانياالطنجية وخاصة في مدينة وليلي نجد الإلهة فينوس إلهة الحب والجمال، وقد ظهرت في المنحوتات مثل تمثال شرشال فهي رمز الخصوبة والماء الذي يعتبر اصل كل الاشياء (الفايدة، 1998، الصفحات 55-57).

بالإضافة إلى الربة جونون والتي حظيت بشعبية كبيرة سواء في إطار الثالوث او لوحدها، وعرفت عبادتها تنظيما عموميا في مختلف المدن، وقد عثر لها على نقائش في سلا وبناسا، ومن خصائصها الاشراف على الزواج وعلى المواليد، كما شاركت الربة منيرفا (Minerva) جونون وجوبتير في إطار الثالوث الكابتولي، ابنة جوبيتير وقد كانت زعيمة الربات الثلاث اللائي لم يتزوجن ابدا حتى انها لقبت بالفتاة العذراء، وان وصفت احيانا بالأم لأن الامهات كن يتعبدن لها (صابر، 2017، الصفحات 77-78)،وقد قدمت لهم هدايا في كل من بناسا طنجة وليلي وسلا بالإضافة إلى بعض التماثيل التي تصور الربة وهي مستوحاة من الفن الروماني، كما نجد الالهة سيريس (Ceres)

رمز الخصوبة والثمار، والتي عرفت باسم السيدة (Domina) وهي ربة النور (Lucifera) وهي الربات التي اتت من صقلية وتمت بونقتها (الفايدة، 1998، صفحة 58)، وكانت تمثل في هيئة امرأة جميلة مهيبة القوام متعددة الألوان شعرها اشقر مسترسل على كتفيها بلا نظام، تلبس إكليلا من سنابل القمح، وتلبس ثوبا يتدلى حتى قدميها وكثيرا ما ترتدي وشاحا إلى الوراء وتحمل في يدها اليمنى حزمة من السنابل وباليسرى مشعل موقد (صابر، 2017، صفحة 101).

لقد دأب التقليد الروماني على تكريم القوى التجريدية المؤلهة فمنها ما ارتبط بالجانب العسكري كالربة فيكتوريا (Victoria)، والتي يتضرع لها قبل المعارك ويمكن أن تكرم في إطار خارج عن الإطار الحربي والهدايا المقدمة لربة النصر إما تكون في إطار عام أو قد تكون مرتبطة بحدث معين مثل الانتصار في الحرب (الفايدة، 1998، صفحة 60).

المرأة كاهنة:

لم تقتصر مهنة الكهانة على الرجال فقط بل شملت النساء أيضا، فقد شغلت المرأة منصبا دينيا يتمثل في الكهانة، والذي منحها مكانة مرموقة في المجتمع بما تقدمه من خدمة دينية، وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على نبلها ونقائها وطهارتها، كما أنه يجعلها من الطبقة الارستقراطية.

ومنصب الكهانة كان يتعلق بعبادة إله معين وإقامة الطقوس الدينية؛ حيث أن هذه الأخيرة كان لزاما أن يشرف عليها عارفين بشؤون الآلهة والصلوات، كما أن وجود الكاهن وكبير الكهنة وكبيرة الكاهنات كان يوحي بتنظيم الجهاز الديني النوميدي وتراتبه (عيساوي، 2009-2010، صفحة 318).

فمعبد الإلهة "ديمترا" (Demetera)ربة ثمار الأرض ولا سيما القمح، والتي ارتبطت بباطن الأرض (الخطيب، 1999، صفحة 43) في قورينة كان له كاهنات يقمن على خدمته دون الرجال، وكن يسمين الميليساي أي النحلات ربما لأنهن كن يجمعن قطرات المياه التي كانت تسيل من نبع "ديميترا" الموجود أسفل المعبد (لاروند، 2002، صفحة 426).

كما ان العرافة كانت شائعة بين النساء واحتلت جزءا هاما من شؤون المرأة الكاهنة، والواقع أن المرأة النوميدية كانت قد قطعت أشواطا في هذه المهمة كي تصل إلى هذا المنصب الديني، فقد عثر على نقيشة في معبد الحفرة ذكر في السطر الثالث من نص النقيشة: "رب هـ ك هـ (ك) ت" أي "كبيرة الكاهنات"، مما يعني أن مكانة المرأة في المجتمع السرتي كانت مرموقة بفضل امتهانها للكهانة والعرافة (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 245)، فمثلا كانت الكاهنة تقوم بالوشم في أجواء طقوسية مفعمة بالدلالات الروحية ويقصد به استجلاب نعم الإلهة "تانيت"

وكسب رضاها واتقاء غضبها، وقد كانت المرأة تعتبره ذو شأن كبير في حياتها (عيساوي، 2009-2010، صفحة 282).

كذلك كانت المرأةالقرطاجية كاهنة مثل ما كانت "صفونيسبة" إحدى خادمات معبد الإلهة "تانيت" منذ نعومة أظافرها كأي امرأة قرطاجية متدينة (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 248)، كذلك الحال في الفترة الرومانية فقد اسندت للمرأة مهام دينية فقد كانت تقوم بدور الكاهنة التي قدمت نقيشة الى الإلهة "سيريس" وتدعى (FabiaBira)، وهي اولى كاهنات وليلي، فقد كانت تعد من أعيان المدينة إلى جانب زوجها ماركوس فاليريوسسيفروس، (الفايدة، 1998، صفحة 58)، كذلك كانت السيدة "روبريا فوستا" (RubriaFesta) من شرشال كاهنة (مقدم، 2010، صفحة 252).

كانت المرأة في الفترة الرومانية كاهنة (Flamina) او زوجة كاهن تأخذ مكانة مرموقة بدورها الديني، وقد ورد ذكر عدة كاهنات من خلال الانصاب التشريفية والنذرية المأتمية وقد بلغت حوالي 68 نقيشة، والتماثيل التي قدمت لبعض منهن في الساحات العامة لمدنهن، مثل كاهنة دوقة بتونس، وقد كانت الكاهنة ترتدي لباسا خاصا يميزها عن بقية سيدات المدينة وأيضا تسريحة الشعر مختلفة.

فمثلا آنيا ايليا رستيتوتا (AnniaAeliaRestituta)، كاهنة قالمة أهدت لمدينتها مسرحا بقيمة 400.000 سيسترس، والكاهنة لكينيا بريسكا (LiciniaPrisca) بدوقة التي أهدت للمدينة معبدا للآلهة فينوس، فورتوناوكونكورديا(مقدم، 2010، الصفحات 255-256).

وفي الفترة البيزنطية وصف بروكبيوس المرأة الساحرة لأنها كانت تتنبأ بنتيجة الحرب (عيبش، 2006/ 2007، صفحة 248)،كما صاحب انتشار المسيحية ظهور صنف من النساء فضلن الحياة الدينية، حتى وإن كان ذلك دون رغبة أوليائهن، وقد خدمن بوظيفة الراهبة والشماسة، وكانت ذات مكانة عند الاسقف، ومن المهام التي اسندت عليها في الكنيسة الرومانية بالمغرب القديم مساعدة الفقراء ومعالجة المرضى ومراقبة الارامل والقيام بدور الوسيط بين المسيحيات ورجال الكنيسة (عيساوي، 2009- 2010، صفحة 457).

3.مكانة المرأة الاقتصادية:

أ. المرأة المالكة:

من بين الاشياء التي تعاب على العرف البربري في القديم أن المرأة كانت محرومة من الميراث، وذلك أثبتته مصادر نقوش مصرية عن القرن الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد (أكصيل، 2007، صفحة 43).

بينما في الفترة الرومانية كانت المرأة تمتلك ثروة بصفة مستقلة عن زوجها وعائلتها، وكانت تقوم بالمساهمة في بناء ما تحتاج إليه المدينة من مرافق ضرورية لتنميتها، وقد كانت تملك أراضي وعقارات إما ان تحصل عليها كإرث ولها أن تتصرف فيه بحريتها إذا حررت وصية، وكان بإمكانها أن تنمي هذه الثروة بنفسها وهي التي تنظم استثماراتها الزراعية وتربية القطعان الاغنام والابقار وحتى الخيول، وكان تستخدم العبيد كيد عاملة، مثل "دونتيلا" زوجة أبيلي الفيلسوف الاصغر سنا منها وهو قرطاجي من مداوروش التي كانت تدقق الحسابات مع المزارعين والموالين وكانت من أغنى اثرياء طرابلس (Oea)، ويظهر من النقوش والنصب التشريفية أنها كانت تساهم في بناء وتنمية المجتمع وتقدم ما بوسعها. (مقدم، 2010، صفحة 254)

نجد كذلك السيدة "مرتيما" (Martima) التي لقبت بالمالكة لأملاك وضيعة العربة (SaltusBagatensis) الواقعة بين قسنطينة (cirta) وعنونة (Thibilis) وقد أنشأت اسواقا بالمشاركة مع زوجها باكيوس فيكتر روفينوس (PaciusVictorRufinus).

كذلك كانت " كورنيليا فالنتينا" (CorneliaValentina) من تيمقاد وزوجة "بلوتيوسفوستوس" (M.PlotiusFaustus) المسمى "سيرتيوس"، وكان كاهنا دائما للمدينة وفارسا، قامت هذه السيدة مشاركة مع زوجها ببناء سوق للمدينة وبناء منزل خصّص الطابق الارضي منه لمجموعة من الدكاكين لتأجيرها، بالإضافة لما قدماه من خدمات ببناء السوق كانا في نفس الوقت يساهمان في توفير مناصب شغل للبطالين. (مقدم، 2010، صفحة 255)

خاتمة:

مما سبق يمكن القول أن مكانة المرأة كانت متأرجحة أحيانا مرموقة وأحيانا أخرى اقل مكانة، ويظهر ذلك في عدة نقاط سأوردها فيما يلي:

- أظهرت المصادر الكلاسيكية أن المرأة في المغرب القديم كانت أقل مكانة لتقزيمها من جهة وتأكيد همجية البربر كما كانت تصفهم دائما من جهة أخرى، خاصة وأن الاعتراف بحقوق المرأة يعتبر مظهر حضاريا غيبته المصادر الكلاسيكية عمداً.
- كانت للمرأة مكانة مرموقة وإن كانت تأت أهميتها بعد الرجل والذي كان يظهر أنه المسؤول عنها في كثير من الاحيان.
- بما ان المرأة كانت نوعين في العهد الروماني فمنها ما كانت ترفع من مكانتها لتصلح لتكون اما وزوجة تنال الاحترام والتقدير والمحبة في حياتها وبعد وفاتها، والنوع الثاني الذي لم يكن يصلح لذلك أحط من مكانة المرأة فجعلها تكون وسيلة للهو والعبث والمجون.

- كانت المرأة جزء من الأسرة ترتبط بالرجل وفق علاقة الزواج التي تضمن لها حقوق مثل لحماية والقوت، وواجبات مثل الطاعة الخضوع والوفاء.
- كانت المرأة ملكة مثل عليسةالقرطاجية وكليوباترا سليني زوجة يوبا الثاني وتين هينان ملكة الطوارق، وسفيرة للعلاقات الديبلوماسية بين الممالك مثل صفونيزبة القرطاجة زوجة سفاكس، وزوجة بوخوس الأول ابنة يوغرطة، كما كان لها دور في الحياة العسكرية، وذلك يدل على المكانة التي وصلت إليها.
- اعتمد الرجل في المغرب القديم على أكثر من زوجة للإنجاب، ولكن ذلك لم يحط من قيمة المرأة التي ظهرت في النقوش المصرية بأبهى حلة تدل على المكانة الرفيعة التي كانت لها.
- كانت المرأة في قرطاجة محترمة ولها مكان مرموق في المجتمع والعائلة؛ فقد اسندت لها مهام ووظائف دينية وتجارية بالإضافة إلى المهام المنزلية مثل تربية الاطفال ورعايتهم، والقيام ببعض الحرف المنزلية كالحياكة.
- كانت المرأة في المجتمع الليبي لا ترث أملاكا عن ابيها في حين كانت في العصر الروماني تحتفظ بميراثها حيث كانت تحتفظ باسم عائلتها ولم تكن للزوج سلطة عليها.
- كانت المرأة في الفترة البيزنطية مقيدة أكثر بالمقارنة مع العصر الروماني، فقد كانت تعتبر مخلوقة للبيت وحده واقتصرت أعمالها على إدارة شؤون المنزل، فلم يكن لها حق الشهادة ولا تنفيذ الوصية.
- أدت الفلسفة الدينية المسيحية إلى استبداد الأزواج بزوجاتهم حيث أوضحت أن الرذيلة كامنة في طبيعة المرأة لأنها ارتكبت الخطيئة الاولى.
- نستشف من اهتمام الليبيين بالآلهة الانثى الأولوية التي كانت تليها المجتمعات القبلية للمرأة، فقد كانت تتسم بصفات تنطبق وخصوصيات المرأة بشكل عام كالخصوبة والولادة، ومن الآلهة نجد تانيت، منرفا، جنون، فيونس وسيريس...
- امتهنت المرأة في المغرب القديم مهنة الكهانة، والتي منحتها مكانة مرموقة في المجتمع بما تقدمه من خدمة دينية، وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على نبلها ونقائها وطهارتها، كما أنه يجعلها من الطبقة الارستقراطية.
- كانت المرأة في العصر الروماني حرة في الامتلاك فقد كانت تقدم خدمات لمجتمعها ومدينتها خلدت هذه الأسماء نقوش اهدائية نظير خدماتها.

وفي الأخير يمكن القول ان المغرب القديم عرف عدة أحداث جعلت تاريخه هامشي بالنسبة للمصادر الكلاسيكية ولكن النقوش والنصب التذكارية ومشاهد الفسيفساء تحدت صمت هذه المصادر لتعطينا معلومات توصلنا من خلالها إلى مكانة المرأة في المغرب القديم وإن كانت دائما تلي الرجل.

المراجع العربية:

1. أندريه لاروند. (2002). برقة في العصر الهلنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس. ليبيا: منشورات جامعة قاريونس.
2. اصطيفان أكصيل. (2007). تاريخ شمال افريقيا القديم ج5. الرباط: مطبوعات أكادمية المملكة المغاربية.
3. بنت النبي مقدم. (2010). المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الاول (27 ق.م- 284 م). مجلة المواقف .
4. حارش محمد الهادي. (2014). التاريخ المغاربي القديم. الجزائر: دار هومة.
5. حسيبة صفريون. (2010). أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الجزائر. الجزائر.
6. يوسف عيبش. (2006/ 2007). الأوضاع الأجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. قسنطينة: جامعة منتوري
7. مها عيساوي. (2009- 2010). المجتمع اللوبي. الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة.
8. محمد بن عبد المومن. (2016). مكانة المرأة بالمجتمع المغاربي القديم. مجلة كنوز الحكمة، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة.
9. محمد الخطيب. (1999). الفكر الإغريقي. دمشق: دار علاء الدين.
10. محمد احمد. (2010). تاريخ الحضارة البيزنطية. سوريا: دار التكوين.
11. محمد البشير شنيتي. (2012). نوميديا وروما الامبراطورية. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة.
12. منير بوشناقي. (1979). الضريح الملكي الموريطاني. الجزائر: مديرية المتاحف والآثار والمباني التاريخية.
13. عقون محمد العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
14. عبد العزيز بل الفايدة. (1998). عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الابيغرافيا. أمل،
15. علاء صابر. (2017). أساطير اليونان والرومان. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16. عبد اللطيف محمود البرغوثي. (بلا تاريخ). التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1. تامغناست.
17. فرانسوا دوكريه. (1994). قرطاجة الحضارة والتاريخ. دار طالاس.
18. فرانسوا شامو. (1990). في تاريخ ليبيا القديم. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
19. شوقي خير الله. (1992). قرطاجة العروبة الأولى. مركز الدراسات العلمية.
20. خزعل الماجدي. (2004). المعتقدات الافريقية. الأردن: دار الشروق.

المصادر الأجنبية:

21. (1)Strabon. (.s.d) .La Geographie livre XVII, III.Paris: Hachette.
22. (2)Salluste (.s.d)Guerre de Jugurtha.Paris: Librairie Garnier Frères.
23. (3) Hérodote .(1936) .Histoires, livre IV.Paris: Les Belles Lettres.